

والقناطر والجسور وحفر الأنهار وكريها، وإقامة السدود وسد البثوق من بيت المال. وقد جاء في المصادر اشارات الى مقدار ما انفقته الدولة العربية في العصر الأموي من اموال بهذا الخصوص، فالحجاج بن يوسف الثقفي عندما انشاء مدينة واسط سنة ٥٨١هـ/ ٧٠٠م انفق على بنائها ثلاثة واربعين الف الف درهم^(١) وعندما انبثقت البثوق في العراق في عهده انفق على سدها ثلاثة ملايين درهم^(٢).

ولما حفر امير العراق خالد بن عبدالله القسري نهر المبارك بواسطة بلغت كلفته اثني عشر مليون درهم^(٣) وفي عهد امير العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز تم حفر النهر المعروف بنهر بن عمر بالبصرة، وقد كانت كلفته ثلاثمائة الف درهم^(٤).

النفقات العسكرية:

كان على الدولة العربية الاتفاق من بيت المال على الجيوش العربية البرية والبحرية التي كانت توجهها في حركات التحرير، ومع ان المصادر لا تشير الى تكاليف جميع الحملات العسكرية، الا انه مما لا شك فيه ان الخلفاء والامراء الامويين كانوا قد انفقوا اموالاً طائلة على نقل هذه الجيوش وتجهيزها والتي كانت تقاوم في جبهة واسعة تمتد من جبال البرنس غرباً حتى الصين شرقاً^(٥).

الحضارة العربية الاسلامية في العصر الأموي

أولاً: النظم الإدارية: {الدواوين}

بعد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب اول من من ادخل نظام الديوان الى الدولة العربية الاسلامية بعد ان اصبحت المدينة عاصمة لدولة مترامية الاطراف عظيمة الموارد، مما حتم ظهور انظمة ومؤسسات تتناول تنظيم موارد الدولة ووجوه الانفاق عليها، ولم تثبت تلك النظم ان تطورت تبعاً لحاجة الدولة واستجابة للظروف التي طرأت على حياة المجتمع خلال العصر الأموي فظهر عدد من الدواوين اختص كل منها النظر في شأن من شؤون الدولة.

(١) المصدر نفسه : ٣٥٧.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان : ٣٦٠.

(٣) الميرد: الكامل: ٣/ ١٢٨٣.

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان : ٤٥٥.

(٥) نظر حركات التحرير العربية في هذا الكتاب.

أ- ديوان الجند:

كان ديوان الجند أو ديوان العطاء قد وجد منذ خلافة عمر بن الخطاب، فقد أكد المؤرخ الطبري ذلك وقال انه فرض الفرض للمسلمين ودون الدواوين في العام الخامس عشر للهجرة^(١) ودعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وأمرهم بكتابة الناس على منازلهم، فتم وضع ديوان الجند أو ديوان العطاء على ثلاثة أسس في مقدمتها أساس النسب والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أساس السبق في الإسلام ثم التفضيل في الشجاعة والبلاء في الجهاد، وقد ظلت هذه الاسس معتمدة خلال العصر الأموي مع بعض التطورات البسيطة التي ادخلها بعض خلفاء الأمويين وولاتهم من حيث زيادة عطاء بعض الفئات من الموالي، كما حاولوا تغيير التنظيم العسكري واصلاحه عن طريق مزج القبائل وربطها برابطة جديدة أكثر قوة من رابطة القبيلة^(٢)، كما وضع ذلك من محاولة أمد القسري سنة (١٠٧هـ) بنقل الجند من البيروقان الى بلخ، فقد كان الجند في الأولى منقسمين الى أخماس أما في بلخ فقد خلطهم وأسكنهم دون أخذ التقسيم القبلي بنظر الاعتبار^(٣)، كما اتخذ الخليفة هشام بن عبد الملك موقفاً عملياً حين أمر واليه الجنيد بن عبد الرحمن بأن يسقط من الديوان (العطاء) أسماء المقاتلة الذين يرفضون القتال، وأمره بأن لا يضغط عليهم لأنه سيرسل اليه مقاتلة غيرهم يرغبون في القتال.

في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) بين احكام الجزية والخراج وعشور الارض وعشور التجارة في العراق وفارس عنها في مصر وبلاد الشام، وكان وراء هذا الاختلاف اللغات التي كانت الدواوين تكتب بها في الاراضي المفتوحة، فعزم عبد الكل على اعتماد نظام موحد في الدولة العربية الاسلامية، وأعطى أوامره الى اعماله في الأقاليم للقيام بمهمة تعريب الدواوين^(٤).

ب- ديوان الرسائل:

يختص هذا الديوان بالإشراف على الرسائل الواردة من أقاليم الدولة العربية الاسلامية، ولم يكن له وجود في عصر الخلفاء الراشدين وإنما استحدثت في عهد معاوية بن ابي سفيان، كان القائم على هذا الديوان يختار من الرجال المعروفين بأمانتهم وعلو مكانتهم وخلوص امراهم^(٥)، كما ان هذا الديوان كان يشرف على الرسائل الموجهة من الخليفة الى عماله، وقد تعددت اختصاصاته

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٦٣.

(٢) فاروق عمر وآخرون، النظم الاسلامية، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٥٠.

(٣) الطبري، ج ٧، (الطبعة الحسينية)، ص ٧٩.

(٤) سالم، تاريخ الدولة العربية، ص ٦٧٨.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ٢٤٣٦.

بمرور الزمن وتزايد عدد العاملين فيه، فكان بعضهم يقوم بالإتشاء والبعض الآخر يساعد في التلخيص والتبويض، كما أصبح لهذا الديوان محفوظات خاصة يتولى الإشراف عليها موظف خاص يعرف بالخازن، فكانت أصول المراسلات ونسخها تنظم في سجلات أو مغلقات خاصة تعرف بالأضابير، توضع عليها بطاقات توضح محتوياتها ليسهل استخدامها والرجوع إليها^(١).

ج- ديوان الخاتم:

يعد ديوان الخاتم من اكبر الدواوين التي عرفها العصر الأموي، ويرجع انشاءه الى معاوية بن ابي سفيان الذي حرص على ان لا تخرج التوقيعات بدون ختم فلا يعلم ما تحويه من اسرار احد سوى الخليفة وحده ولا تتعرض هذه التوقيعات للتزوير والتعديل، ويشير الطبري الى الاسباب التي دفعت معاوية الى ختم الكتب الصادرة عن الخليفة، فذكر ان معاوية كان قد امر لعمر بن الزبير عند زياد بن ابيه بالكوفة بمئة الف درهم، ففتح بها عمر وحبسه حتى قضاه. عته اخوه عبد الله بن الزبير، فاتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم من قبل^(٢) واسند معاوية ديوان الخاتم الى عبد الله بن محصن الحميري حسب رواية الطبري^(٣) في حين يذهب السيوطي الى القول بأنه ولي عبد الله بن أوس الغساني مهمة الإشراف على ديوان الخاتم^(٤).

بان معاوية وقد ضم هذا الديوان عدداً من الكتاب القانمين على انفاذ كتب الخليفة والختم عليها اما بالعلامة او بالحزم، وكان الحزم يتم عن طريق لصق رأس الصحيفة على ما تتطوي عليه من الكتاب، وقد يجعل على مكان الإصاق علامة يؤمن معها من فتحه والإطلاع على ما فيه^(٥)، كما كان للخليفة ختم خاص قد يستعمله للأمور المهمة والخاصة من أجل الحفاظ على سريتها.

د- ديوان البريد:

كان الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان أول خليفة ينشئ نظام البريد وذلك عندما اتسع نطاق الدولة، واصبح من الضروري نقل الرسائل وتسهيل الاتصال السريع بين العاصمة وأقاليم الدولة المختلفة، اي ان البريد لم يكن يستخدم من قبل الرعية في نقل رسائلهم إلا بعد حين، فمهمة

(١) عند المتعمر ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٣، ص٣٦.

(٢) الطبري، ج٦، ص١٨٤.

(٣) الطبري، ج٦، ص١٨٤.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨٧.

(٥) ابن طباطبا، ص١٠٧، عبد العزيز، سالم، تاريخ الدولة العربية، ص٦٨٠.

ديوان البريد الأولى نقل الاخبار بين الولايات الى الخليفة بما يجري هناك تفصيلاً، كما انه كان يتولى ينقل حاجيات الدولة ويشرف على المسالك والطرق ويرسم الخرائط المناسبة للأقاليم^(١). ومن اجل تسهيل الاتصال السريع بين الخليفة وعماله في الامصار كانت توضع مضممرات الخيل في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر الممرع الى مكان منها وقد تعب فرسه ركب فرساً مستريحاً، وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يؤمن وصوله الى المكان المقصود بسرعة^(٢).

القضاء:

كان القضاء في العصر الأموي بسيطاً كما كان الحال عليه خلال عصر الخلفاء الراشدين ذلك ان المذاهب الأربعة لم تكن قد ظهرت بعد، فكان القاضي يعتمد على الاجتهاد في الاحكام مستعيناً في ذلك بالكتاب والسنة والاجماع والقياس.

وقد انقسم القضاء في العصر الأموي الى قضاء شرعي وقضاء مدني، فكان القاضي الشرعي يستمد احكامه من مصادر الشريعة الاسلامية، أما القضاء المدني فيتولاها المحتسب^(٣)، وكثيراً ما جمع القضاء الشرعي بين السلطتين الشرعية والمدنية، أما القضايا التي يستعصي حلها على القاضي الشرعي فكان يفصل فيها قاضي المظالم الذي تفوق سلطته القضائية سلطة القاضي والمحتسب^(٤). وقد أقر خلفاء بني أمية ديواناً خاصاً للنظر في المظالم، ويرجع الفضل في نشأته الى عبد الملك بن مروان. فكان إذا وقف على مشكلة احتاج فيها الى حكم منفذ ردها الى قاضيه ابي إدريس الأزدي فينفذ فيها احكامه^(٥).

اهتم عمر بن عبد العزيز اهتماماً كبيراً ببرد المظالم الى اصحابها فبدأ بنفسه ثم بأهله وأقاربه فقلص مصاريف الخلافة وجلس على الحصير، ووزع مزارعه وردّ بعضها على ما كانت عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وصادر أموال وحلي زوجته فاطمة بنت عبد الملك وردّها الى بيت المال، وردّ مظالم بني أمية على أهلها، ونظر بالمظالم الشخصية والمظالم

(١) عبد العزيز سالم، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٦٨٠-٦٨١؛ فاروق عمر، اخبار الدعوة العباسية، ص ٨١.

(٢) ابن طياطبا، الفخري، ص ١٦.

(٣) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٧٤.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٩٢.

(٥) الماوردي، الاحكام السلطانية ص ٢٤.